السمـات النفسيـة والخصـائص البيئيـة لمتعاطى المخدرات من مرتكبى جرائم العنف

دراسة على المودعين بالسجون من الشباب

سوسن فايد *

حاولت هذه الدراسة الإجابة عن تساؤلات تتعلق بتلك السمات النفسية والخصائص البيئية التى يتسم بها المتعاطون مرتكبو جرائم العنف فى إطار العلاقة بين التعاطى وارتكاب جرائم العنف .

تم تطبيق أدوات البحث على ٨٠ حالة ممثلة بقدر الإمكان للمودعين بالسجون من مرتكبى جرائم العنف ، وقد تم استخدام عدد من الاستبيانات لقياس الأبعاد موضوع الدراسة وهى :

١ – مقياس الشخصية .

٢ – مقياس كورنيل للنواحى العصابية .

٣ – استمارة استبـار .

أهم النتائج التى انتهت إليها هذه الدراسة :

أولاً : على مستوى السمات النفسية ، جاءت مؤشرات الأداء على مقاييس العنف والعدوان والاعتمادية لتدل على عدم وجود فروق بين عينتى الدراسة والتقنين ، بينما وجدت فروق دالة على مقاييس التجاوب الانفعالى ، والتقدير السلبى للذات ، والثبات الانفعالى .

ثانيًا : على مستوى السمات النفسية المرضية ، تبين أن عينة الدراسة اتسمت بعدم الكفاية الشخصية، وتميزوا بسمة الغضب والشعور بالاكتئاب ، واتضح أنهم مصابون بحالات من القلق والتوتر والحساسية المفرطة .

ثالثًا : على مستوى الخصائص البيئية ، أشارت النتائج إلى أن عينة الدراسة تعرضت لظروف بيئية ضاغطة ، وكانت الدوافع المباشرة للتعاطى والوقوع فى براثن جرائم العنف هى التعرض لعنف الأخرين ، والبلطجة، والبعد عن القيم الدينية ، والمشكلات الاقتصادية ، والتفكك الأسرى ..إلخ.

وبصفة عامة نجد أنه كلما توافر الاستعداد النفسى ودعمته المتغيرات المهيئة بالمحيط البيئى ، اقترب الشباب من اللجوء لتعاطى المخدرات والوقوع فى براثن جرائم السلوك العنيف .

* أستاذ مساعد علم النفس ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

أولاً : مقدمة فى مشكلة الدراسة

رغم عالمية مشكلة تعاطى المخدرات ومتغيراتها الاجتماعية ، فإن لها صورة محلية خاصة بكل مجتمع على حدة . وبالتالى فإن استيراد وصف المشكلة من الباحثين الغربيين ونقاط الاهتمام والاستنتاجات لن يؤدى إلى المعرفة بالأبعاد الحقيقية للمشكلة ، فمشكلة تعاطى المخدرات لها أبعاد قومية ترتبط بالتاريخ السياسى والتشريعى للبلاد ، كما ترتبط بتراثها الشعبى وعاداتها وبنيتها الاجتماعية وخلفيتها الثقافية (كمال ، ٢٠٠٣) .

ويشير العديد من الدراسات (Kumar, et al., 2002, pp. 105-124) – بصفة عامة – إلى وجود علاقة بين تعاطى المخدرات جرائم العنف . فى إطار سمات نفسية مميزة وخصائص بيئية خاصة تهيئ المناخ للتعاطى وتدفع لارتكاب أعنف الجرائم . وهذه العلاقة لا تثير الدهشة لأن تعاطى المخدرات فى حد ذاته سلوك منحرف .

وتُعد ظاهرة جرائم العنف ظاهرة عالمية وإن تعددت دوافعها وأسبابها من مجتمع لآخر؛ حيث لا يمكن تماثل السياق التاريخى والثقافى والاجتماعى للمجتمعات .

وجرائم العنف بمثابة تعبير عن طاقة لم تجد لها مخرجًا اجتماعيًّا فأدت إلى سلوك لا يتفق والمعايير والأوضاع التى يسمح بها المجتمع ، وتختلف درجة العنف باختلاف كم الطاقة التى تبحث عن متنفس ، وهى فى الأصل ترتبط بعوامل متعددة فردية متصلة بشخص المجرم نفسه ، وهى إما وراثية أو نفسية وأخرى اجتماعية مباشرة وغير مباشرة (المجلس القومى لمكافحة وعلاج الإدمان : صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطى ، ٢٠٠٢) .

ونحاول فى الدراسة الراهنة الإجابة على تساؤل يتعلق بتلك السمات النفسية والخصائص البيئية المميزة للمتعاطين مرتكبى جرائم العنف فى إطار العلاقة بين التعاطى وارتكاب جرائم العنف ، وهذه العلاقة يحكمها ثلاثة تساؤلات هى :

١ – هل يؤدى التعاطى إلى جرائم العنف ؟

٢ – أم أن الجرائم تؤدى إلى التعاطى ؟

٣ – أم أن هناك متغيرات أخرى تتمثل فى سمات نفسية مميزة ، وخصائص بيئية خاصة يمكن أن نربط بينهما كعوامل مشتركة ؟

إن الإجابة على تلك التساؤلات تفتح باب الجدل حول طبيعة العلاقة بين ظاهرة التعاطى وجرائم العنف ، وطرح اتجاهات مختلفة ، وهو ما أسفرت عنه مجموعة من النتائج للدراسات الميدانية (السنبل ، ٢٠٠١) ،تناولت ثلاثة اتجاهات نعرض لها فيما يلى :

الاتجاه الأول : يؤدى التعاطى إلى جرائم العنف : ينطلق ذلك الاتجاه من مقولة أساسية وهى أن متعاطى المخدرات دائمًا ما يحتاج المال اللازم لشراء المخدر ، وعند ضيق الحال ، غالبًا ما يدفعه ذلك إلى انتهاج وسائل منحرفة لتوفير ذلك المال . وقد كشفت نتائج دراسات عديدة أن نسبة ارتكاب الجريمة وبعنف بعد التعاطى أكبر منها قبل التعاطى ، وبالتالى فإن الفرد يصبح مجرمًا بسبب التعاطى أو الإدمان ، ولكنه لا يصبح مدمنًا بسبب الإجرام فى هذا السياق (العتيق ، ٢٠٠١) .

الاتجاه الثانى : تؤدى جرائم العنف إلى التعاطى : طبقًا لهذا الاتجاه فإن الانخراط فى السلوك المنحرف يؤدى إلى تعاطى المخدرات ، فتعاطى المخدرات بين المجرمين يُعد سلوكًا طبيعيًا ، وربما يُعد نتاجًا طبيعيًا لنمط الحياة المنحرفة ذاتها ، فقد أظهرت دراسات عديدة أن تعاطى المخدرات يُعد نتاجًا للانحراف والجريمة . وأنه كلما زادت درجة الاعتماد على المخدر كلما زاد معدل ارتكاب الجريمة (Ltoyed D., 2002) .

الاتجاه الثالث : أما الاتجاه الثالث فهو يرى أن الجريمة والتعاطى نتاج لمجموعة من العوامل المتداخلة ، فبالرغم من العلاقة الإحصائية القوية بين التعاطى والجريمة وخاصة ذات الطابع العنيف ، فإن العلاقة بينهما ليست علاقة سببية بالدرجة الأولى ،

بل على العكس من ذلك فلعل تلازم وقوعهما معًا يشير إلى وجود عوامل أخرى نفسية وبيئية مسببة لهما (Hall G., 2007). ومن هنا تأتى أهمية الدراسة الحالية فى الوقوف على أهم السمات النفسية والمتغيرات والخصائص البيئية المهيئة لوجود علاقة بين التعاطى وجرائم العنف بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

وبصفة عامة ، فبالرغم من أن نتائج العديد من الدراسات تؤكد العلاقة السببية بين الجريمة وتعاطى المخدرات فإن طبيعة واتجاه العلاقة أمر لم يحسم بعد ، ولذلك فإن أفضل ما يمكن قوله وبثقة هو أن تعاطى المخدرات يرتبط بصورة غير مباشرة بالجريمة وخاصة ذات الطابع العنيف .

وتأتى أهمية هذه الدراسة من محاولة الوقوف على السمات النفسية والخصائص البيئية التى تميز المتعاطين من مرتكبى جرائم العنف لوصف وتفسير العلاقة بين التعاطى والجريمة وخاصة لما تتسم به الجرائم فى الآونة الأخيرة من بشاعة وعنف يثير الدهشة والتساؤل .

وينطلق موضوع تعاطى المخدرات وعلاقته بجرائم العنف من خصوصية المجتمع المصرى بأبعادها المختلفة ، حيث تتناول المشكلة كما توجد فى الواقع المصرى سواء من حيث الوصف ، أو التحليل ، أو التفسير .

وعن حجم جرائم العنف وخصائصها فى المجتمع المصرى ، كمؤشر عام يحمل كمًا هائلاً من المتعاطين، يمكن الإشارة إلى عديد من المؤشرات والأبعاد الاجتماعية للجريمة للوقوف على مدى أهمية المشكلة البحثية التى نحن بصددها .

ثانيًا: المنطلقات النظرية للدراسة

١- الاتجاه السلوكى Behavior Approach

ويقوم الأساس النظرى لهذا الاتجاه على الافتراضات الأساسية للمدرسة السلوكية التى أسسها واطسن Watson مستفيداً من مبادئ بافلوف Pavlov عن الاشتراط

الكلاسيكى، وثورنديك Thorndikeعن أهمية الثواب والعقاب فى عملية التعلم (چليفورد ،١٩٩٣، ص ٣٠١).

وتقول النظرية السلوكية إن الفرد فى نموه يكتسب أساليب سلوكية جديدة عن طريق عملية التعلم ويحتفظ بها . وكان من أهم تطبيقات نظرية التعلم خاصة نظرية هل (Hull) فى مجال الشخصية هو ما قام به چون دولارد ونيل ميللر Dollard & Miller؛ حيث تحدثا عن عدة مفاهيم مهمة فى عملية التعلم ، وهى المثير، والدافع ، والدليل ، والتقرير ، والاستجابة . وتناولا كذلك مفهوم الصراع والعمليات اللاشعورية .

والشخصية – حسب النظرية السلوكية هى التنظيمات أو الأساليب السلوكية المتعلقة الثابتة نسبيًا التى تميز الفرد عن غيره من الناس . ويحتل مفهوم العادة مركزًا أساسيًا فى النظرية السلوكية باعتبار أن العادة مفهوم يعبر عن رابطة بين المثير والاستجابة . واهتمت هذه النظرية بتحديد الظروف التى تؤدى إلى تكوين العادات ، وإلى انحلالها ، أو إحلال أخرى محلها ، والعادة عند أصحاب هذه النظرية هى تكوين مؤقت وليست تكوينًا دائمًا نسبيًا، كما أن العادات متعلمة ومكتسبة وليست موروثة ، وعلى هذا فإن الشخصية يمكن أن تتعدل أو تتغير . وكذلك فإن هذه النظرية أبرزت أهمية الدافع أو الباعث ، وهو مثير قوى بدرجة كافية لدفع الفرد وتحريكه إلى السلوك (مليكة ، ١٩٨٩، ص ص١١٧ – ١٢١) .

واعتبرت النظرية السلوكية أن التعاطى أو الانحراف هو سلوك غير سوى ، وتقول وجهة النظر السلوكية : إن السلوك غير السوى توافق غير ملائم لصراع بين حاجات الفرد وحاجات البيئة ناتج عن عملية تعلم فاشلة ، فالناس يتعلمون كيف يصبحون مسرفين فى العدوان ، وكيف يعتقدون المعتقدات الزائفة فى المخدر، وكيف يخافون أو يبدون ألوانًا أخرى من عدم السواء نتيجة للحلول غير الملائمة لصراعات التوافق (BrandV.,1993, p.43).

ولقد قدم دولارد وزملاؤه فرضين أساسيين وهما : أن الإحبـــاط يؤدى دائمًا إلى العدوان ، وأن العدوان ينتج دائمًا عن الإحباط ، ويذكر دولارد فى التدليل على صحة نظريته "كبش الفداء" أى إزاحة العدوان من مصدره إلى طرف مستضعف ، ولقد عدلت هذه الفروض بعد ذلك لتتضمن التسليم بأن الإحباط يمكن أن يؤدى إلى أنواع عديدة من السلوك غير العدوانى ، فقد ينتج عنه زيادة الاعتمادية ، أو الانزواء أو التسليم أو الاستجابات السيكوسوماتية أو الإدمان . وتتعدد معانى الإحباط التى تؤدى إلى العدوان ، ومنها سحب ثواب متوقع ، أو فشل فى مهمة ، وقد يؤدى الإحباط الناتج عن البطالة إلى تزايد احتمالات العدوان أو الإدمان .

٢-الاتجاه المعرفى Cognitive Approach

لقد أوثق چان بياچيه Piaget الرباط بين الأبحاث التى أجريت فى نمو الطفل فـــى المراحـل المبكرة فى النواحى المعرفية ووضعها جميعًا فى إطار نظرى محكـم ، يبـين كيـف ينتقل الطفل من مرحلة إلى أخرى من مراحل التفكير . ففى رأى بياچيه أن الطفل يمر بسلسلة من المراحل منذ الولادة حتى الرشد ، وتظهر هذه المراحـل بنظـــام ثابـت ، ذلك ان كل مرحلة هى مقدمة ضررية للمرحلة التى تليها ، وتظهر فى كل مرحلة مجموعة معينة من التشكيلات أو الهياكل السلوكية Schemes وهذه قد تكون إما سلوكية ظاهرية وإما عقلية معرفية (Hall G., 2007, pp. 174-175).

وتتضمن كلمة هيكل Schemes عنـد بياچيه كـلاً مـــن نشاطـات الطفـل والأبنيـــة Structures التى تقوم عليها هذه النشاطات (چليفورد ، ١٩٨٩ ، ص ص ٣٢٩ – ٣٤٠) .

ولقد وضع عالم النفس الأمريكى جروم برنر Jerome S. Burner مفهـــوم بياچيه باقتراحه أن العملية المعرفية بواسطة ثلاثة نماذج تستخدم فى حياتنا ، وهى : (مليكة ، ١٩٨٩، ص ٣٠٤) .

أ – النموذج التنشيطى (الفعال) Active ،ويتضمن عملية الوصف أو التوضيح Rep-resentation من خلال العمل أو الفعل Action .

ب – النموذج التصورى (التخيلى) Laconicmode باستخدام التصور البصرى والعقلى.

جـ – النموذج الرمزى ، وهو الذى يعتمد على استخدام اللغة .

وتعتبر عملية الاهتمام بالنمو المعرفى لدى الأطفال فى السنوات المبكرة فى غايـــة الأهمية، حيث يستهدف النمو المعرفى تحقيق الآتى: (عامر، ٢٠٠٤، ص ٨١) .

◇ تعليم الأطفال كيفية فهم الحياة المحيطة بهم .

◇ تعليم الأطفال كيفية فهم الأفراد والأشياء المحيطة بهم .

◇ تعليم الأطفال كيفية التعرف على مشاعرهم، وكيفية الاهتمام بأنفسهم .

◇ تعليم الأطفال كيفية استخدام الرموز من خلال استخدام اللغة وأشكال الاتصال المختلفة.

◇ تعليم الأطفال كيفية اختيار القرارات وصنعها والاعتماد على النفس .

◇ تعليم الأطفال كيفية التصرف فى المواقف بطريقة صحيحة تتفق مع قيم المجتمع المحلى والقومى والعالمى .

ويعتبر الإنسان المتمتع بصحة ، العمل له اتجاه موضوعى إزاء نفسه ، فهو ينظر إلى مشكلاته نظرة معقولة ، ويدع الحقائق والظروف هى التى تقوده أكثر من تمنياته ورغباته ، وبفضل هذه الموضوعية تتوافر لديه القدرة على أن يجلس ويلقى بنظره إلى نفســه ، فيستطيع أن يلاحظ السلوك الدفاعى فى مبدئه . والإنسان حسن التكيف لديه استبصار بسلوكه ، فهو قد تعلم وسائله النموذجية فى السلوك لا بالمحاولة والخطأ الأعمى ، ولكن عن طريق بعض الإدراك للعلاقات بين الأهداف والوسائل ، ولما كان على معرفة بنفسه ففى مقدوره أن يتمثل تصوره دون حاجة إلى التعويض أو التبرير، وثمة خاصة مهمة أخرى للشخص حسن التكيف تلك أنه قد اكتسب أوجاعًا متماسكة إزاء

مشكلاته ، فهو لا يرغب فى الشىء ثم يخشاه معًا ولكنه قد تعلم الاستجابات المنسجمة غير المتصارعة إزاء العوامل الكبرى فى حياته ، وأن نقص التماسك فى الأوجاع يؤدى إلى التفكك وهو أحد العوامل الأساسية فى سوء التكيف (حجازى، ١٩٩٧، ص ١٧٣) .

وقد يتعرض الإنسان أو الفرد للخطأ فى الإدراك ، مادامت هناك عوامل تؤثر فى الفرد نفسه وتؤثر فى إدراكه ، ومن هذه العوامل شعور الفرد بالاضطراب فى حياته ، حيث يؤدى اضطراب الفرد إلى احتمال الخطأ فى إدراكه وهذه ظاهرة معروفة لنا جميعًا فى حياتنا اليومية . فالخوف والغضب والغيرة وما إليها من الانفعالات لاتؤدى إلى دقة الإدراك وإصدار الأحكام (البرنامج القومى للوقاية من تعاطى وإدمان المخدرات ، ٢٠٠٢، ص ١٧) .

وللعمليات المعرفية وعمليات الانتباه تأثيراتها على الانحراف ، فإذا انقضى وقت بين الاستثارة والفرصة لممارسة الانحراف ، أو إذا كان الانحراف وسيليًا ، فإن الفرد قد يفكر فى مزايا ومخاطر فعل انحرافى معين ، وبخاصة إذا كان الغضب والاستثارة الانفعالية لم يصلا بعد إلى مستويات عالية متطرفة ، وهو يكون فى صراع بين الاقتراب والتجنب ، وتشمل عوامل الاقتراب توقع ثواب نتيجة الانحراف ، وتبرير للانتقام وتوقع التنفيس الانفعالى (وهو توقع خادع غالبًا) . أما عوامل التجنب فهى تشمل ، المحاذير الاجتماعية ضد الانحراف ، والحكم الخلقى ضد إيذاء الآخرين ، وتوقع العقاب أو احتمال التعرض للانتقام . وتتوقف نتيجة عملية اتخاذ القرار السابقة جزئيًا على ما إذا كان الفرد يفكر -أساسًا - فى عومل كف الانحراف ، أم فى عوامل استثارية ويتحدد مركز الانتباه بظروف معينة (عبدالحميد ، ٢٠٠١) .

٣ - المداخل النظرية لعلم النفس البيئى

أ - نموذج الضغط البيئى أو الانعصاب البيئى

هو أحد المداخل النظرية الحديثة التى تستخدم على نطاق واسع فى علم النفس البيئى ويرى أن عناصر البيئة ، كالضغوط بالعمل ، أو الخلافات الزوجية ، أو ضغوط الانتقال

إلى موقع جديد ، أو ازدحام المدن ، كلها تعتبر مثيرات منفردة تهدد الفرد . والانعصاب متغير وسيط يعرف كرد فعل لهذه المثيرات (أرنست ، ١٩٨٦) .

وعندما يزيد الضغط يولد لدى الفرد الشعور بالخطر ، وبالتالى المقاومة ممثلة فى رد الفعل فى شكل السلوك العنيف للدفاع يُهدد الفرد ، لذا نجد أن الضغط يصاحبه السلوك العنيف لمقاومة آثاره السلبية .

خصائص الضواغط

- بعض الوقائع البيئية مهددة للناس جميعًا ، وبعضها مهدد لعدد قليل .
- كثير من الوقائع البيئية تؤدى إلى مدى عريض متسع من المشكلات .
- هذه المشكلات قد تحدث فى موقع معين ، وقد لا تحدث ، باختلاف المواقع وخصائص الأشخاص .
- الضاغط ليس آليًا ، ولا يعتبر مهددًا دائمًا وأيضًا باختلاف المواقف والأشخاص .
- طريقة تقدير الناس للضاغط تؤدى دورًا هامًا فى الإحساس به باعتباره ضاغطًا (أيزنك . هـ ، ١٩٩٦ ، ص ١٠٩) .

تصنيف الضواغط

- **فجائية** : لا تقدم تحذيرًا أو تقدم قدرا قليلاً من التحذير ويكون لها تأثير قوى ، وتحدث استجابة عامة وتتطلب قدرًا كبيرًا من الجهد لمواجهتها بفاعلية كالكوارث الطبيعية .
- **شخصية** : مثل أحداث المرض ، وموت المقربين ، أو فقدان الممتلكات ، وهى أحداث تتبع من الشدة درجة تتحدى قدراتنا وهى تؤثر فى نطاق أقل من الناس .
- **خلفية** : وهى ضواغط متكررة ملحة مستمرة ، وتكاد تكون روتينية ، وآثارها تكون تدريجية ، وهى عادة مزمنة ، وقد تكون مضايقات يومية تواجه الفرد .

تنقسم الضواغط الخلفية إلى نوعين :

- ضواغط على المستوى المصغر (فى حياة الفرد ومنزله) .
- ضواغط شاملة ، وهى الظروف البيئية المزمنة ، وقد تكون مضايقات تنتمى للبعد الاجتماعى كمضايقات رئيس العمل ، أو قوة الأب ، أو تنتمى للبعد الفيزيقى كالضوضاء، والتلوث ، والازدحام .

مراحل الاستجابة للمثير الضاغط :

- استجابة الإنذار بالخطر .
- مرحلة المقاومة .
- مرحلة الإنهاك والإجهاد(أيزنك . هـ ، ١٩٩٦ ، ص ١١٧) .

ب- نموذج القسر (القيد) السلوكى

إذا كانت الإثارة البيئية المفرطة تؤدى إلى الإجهاد والتعب ، فإن ثمة نتيجة ممكنة لهذه الإثارة وهى فقدان الضبط المدرك على الموقف ، وخاصة إذا اتسم موقف بالقسوة والعنف ، ويخرج من يد الفرد ولا يستطيع مواجهته أو التغلب عليه . إن فقدان السيطرة المدركة على الموقف هو الخطوة الأولى فيما يعرف بنموذج القسر السلوكى بالنسبة للإثارة البيئية . و"قسر" تعنى أن ثمة شيئا فى البيئة يحدد الأشياء التى ترغب فى عملها، أو يعوق عملها ويصبح خارج نطاق سيطرتنا .

- إدراك فقدان السيطرة على البيئة يؤدى إلى الضيق والاضطراب الانفعالى مما يعطى احتمالات لانحراف السلوك .
- محاولة إعادة تأكيد السيطرة على الموقف ، وتعرف هذه الظاهرة بالمفاعلة أو المقاومة السيكولوچية P. Reactance ، وأول شرط لحدوث المفاعلة السيكولوچية هو أن نتوقع حدوث القسر والثانى فهو حدوث القسر فعلاً (West:١٩٩٣).

◇ إذا أخفقت جهودنا فى إعادة تأكيد سيطرتنا على أحد عناصر البيئة واستعادة حرية التكيف مع الأفعال ، فإن النتيجة النهائية لفقدان السيطرة وفقًا لنموذج القسر السلوكى فهى تعلم انعدام الحيلة أو العجز النفسى Leatned Helplessnes الذى قد يكون رد فعله العدوان وسلوك العنف أو الهروب بالإدمان؛ حيث تكون نتيجة لـذلك العجـز الحتمـى (عبدالحميد ، ٢٠٠١) .

ونرى أن تلك المداخل النظرية لعلم النفس البيئى تفسر العلاقة بين العناصر البيئية الاجتماعية والفيزيقية وانحراف السلوك نحو العدوان أو الإدمـان ، وكلما كانت المثيرات البيئية سالبة وعنيفة من حيث الضغط والعجز النفسى على الفرد كلما كانت الاستجابة لديه تتمثل فى سلوكيات عنيفة تصل أحيانًا لارتكاب أعمال العنف ، فالفرد فى المحيط البيئى يشكل منظومة دينامية تضم الظروف والمواقف والأفراد . وبناء عليه أرى أنه كلما نجحنا فى تعديل المثيرات البيئية توصلنا لتحقيق الاستجابات المرضية السوية ، فإن أعمال العنف ما هى إلا نتيجة للاعتداء والعنف المتبادل بين البيئة على الفرد ، ثم الفرد على البيئة .

والدراسة الراهنة تطرح عدة أهداف :

◇ الوقوف على السمات النفسية العامة لمتعاطى المخدرات من مرتكبى جرائم العنف.
◇ الوقوف على السمات النفسية المرضية لمتعاطى المخدرات من مرتكبى جرائم العنف.
◇ تحديد المتغيرات البيئية (الاجتماعية ، والفيزيقية) المهيئة والمحفزة للتفاعل مع السمات النفسية والدافعة للتعاطى وارتكاب جرائم العنف .

وفى سياق تلك الأهداف تتحدد تساؤلات الدراسة :

◇ هل من سمات نفسية عامة مميزة للمتعاطين من مرتكبى جرائم العنف ؟
◇ هل من سمات نفسية مرضية للمتعاطين من مرتكبى جرائم العنف ؟
◇ هل من متغيرات اجتماعية أو فيزيقية مهيئة محفزة تتفاعل مع السمات النفسية العامة أو المرضية دافعة للتعاطى وارتكاب جرائم السلوك العنيف ؟

رابعاً: الإجراءات المنهجية للدراسة

العينة والأدوات

١ – العينـة

تم سحب عينة الدراسة من المودعين بالسجون العمومية والمركزية من الذكور فى مرحلة الشباب وقد راعينا فيها أن تكون ممثلة بقدر الإمكان لجمهور المتعاطين من مرتكبى جرائم العنف ، وذلك بغرض الحصول على بيانات دقيقة .

وقد روعى فى اختيار العينة الاعتبارات الآتية :

◇ أن يكون المودعون من متعاطى المخدرات .

◇ أن يكون سن المودع وقت إجراء المقابلة فى مرحلة الشباب من ١٨ إلى٤٠ سنة .

◇ أن تكون التهمة الموجهة للمودع تندرج تحت جرائم العنف .

◇ روعى أن يكون المودعون من مرتكبى جرائم عنف حديثة بقدر الإمكان لدقة قياس الحالة النفسية فى تفاعلها مع الظروف المواتية للتعاطى لارتكاب الجريمة .

وعن المجال الجغرافى للعينة

أجريت الدراسة الميدانية على مجموعة من المودعين بالسجون التالية :

◇ سجن مزرعة طرة .

◇ ليمـــان طـــــرة .

◇ سجن عنبر الزراعة .

أما المجال البشرى وحجم العينة

تم تطبيق أدوات البحث على ٨٠ حالة من المودعين بالسجون ، وبعد مراجعة الإجابات واستبعاد الحالات التى لا تنطبق عليها شروط البحث مثل :

◇ عدم استكمال الإجابات .

◇ مرتكبى جرائم غير عنيفة .

◇ عدم الجدية فى الإجابة .

وبعد استبعاد عدد ٤ حالات لا تنطبق عليهم شروط البحث ، أصبحت عينة البحث من المودعين بالسجون ٧٦ مودعًا بالسجون .

٢ – الأدوات المستخدمة فى البحث

استلزم هذا البحث تطبيق عدد من الاستبيانات لقياس الأبعاد موضع الدراسة ، وهذه الاستبيانات هى :

أ – مقياس الشخصية * : Personality Assessment Questionnaire

والمعروف اختصاراً (PAQ) لرونالد – ب رونر Rohnald – Rohner وهو عضو رابطة علم النفس الأمريكية ، وذلك لقياس السمات النفسية العامة المميزة للشخصية وعلاقتها بالتعاطى بارتكاب جرائم السلوك العنيف . بهدف الحصول على تقدير كمى لكيف يرى ويدرك الفرد نفسه فيما يتعلق بخمس سمات نفسية للشخصية هى :

- ◇ العدوانية .
- ◇ الاعتمادية .
- ◇ تقدير الذات .
- ◇ التجاوب الانفعالى .
- ◇ الثبات الانفعالى .

تم حساب المعاملات التقديرية لثبات مقياس تقدير الشخصية (أ.ت.ش) وفروعه بطريق الاتساق الداخلى ، حيث تم حساب معاملات ألفا كرونباخ والمبينة بالجدول رقم (١) حيث كانت قيمة الثبات التقديرية للمقياس الكلى ٨٨ر٠ وهى قيمة مرتفعة ، تسمح بإجراء الاختبار والثقة فى نتائجه وكانت أقل قيم الثبات هى المتعلقة بالمقياس الفرعى الاعتمادية حيث كانت ٥٥ر. وهى مقبولة إلى حدٍّ ما .

* تعريب ممدوحة سلامة ، قسم علم النفس ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق .

جدول (١)

المقيـــاس	معدل الثبات
الـــــعـــــدوان	٠ر٦٥
الاعـــتـــمـــاديـــة	٠ر٥٥
التقدير السلبى للذات	٠ر٦٩
عدم التجاوب الانفعالى	٠ر٦٠
عدم الثبات الانفعالى	٠ر٨٨

ب – مقياس كورنيل للنواحى العصابية *

وهو أداة لقياس السمات النفسية المرضية لمتعاطى المخدرات من مرتكبى جرائم السلوك العنيف ، والتى يمكن أن تكون مهيئة للإدمان دافعة للعنف فى وسط اجتماعى معين . وتتمثل فى الاكتئاب ، والقلق ، وعدم الكفاية ، والحساسية ، والغضب ، والتوتر.

وقد اعتمدت الباحثة على بعض المقاييس الفرعية الخاصة بالنواحى المزاجية والانفعالية على قائمة كورنيل الجديدة – للنواحى العصابية والسيكوسوماتية ، تأليف :

كيـــف برودمـــان	Keev Brodman
ألبرت ج. إردمـــان	Albert J. Erdma
هارولد ج. ولـــف	Harld G. Wol
بول ف. مسكوفتش	Paul F. Miskovitz

وقد تم الاعتماد على المقاييس الفرعية الستة بمقياس كورنيل للنواحى العصابية والتى تتمثل فى : عدم الكفاية ، الاكتئاب ، القلق ، الحساسية ، الغضب ، التوتر ،

لقياس تلك السمات النفسية المرضية على أفراد عينة الدراسة متعاطى المخدرات من مرتكبى جرائم العنف.

وتم اختبار دقة القائمة فى التشخيص والتقييم على ١٩١من المرضى الذين دخلوا القسم الطبى العام بمستشفى نيويورك . وعندما تم فحصهم بواسطة الأطباء دون أن تتوافر لديهم أية معلومات أخرى غير نتائج قائمة كورنيل ، وجد أن التشخيص

* وهو تعريب وإعداد محمود السيد أبو النيل ، قسم علم النفس ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

بواسطتها يتسم بالدقة بالنسبة لكل الحالات أو يتطابق التشخيص من خلالها فى ٩٤٪ من الحالات ، مع البيانات والفحوص التى بالمستشفى .

جـ – استمارة استبار

لقياس إلى أى مدى يمكن للمتغيرات الاجتماعية والفيزيقية أن تكون مهيئة ، أو دافعة لتفاعل سمات نفسية عامة أو مرضية لمتعاطى المخدرات مرتكبى جرائم السلوك العنيف.

خامساً :نتائج الدراسة

بالنسبة للتساؤل الأول للدراسة الراهنة عن ماهية السمات العامة لمرتكبى جرائم السلوك العنيف ، فقد نيط بمقياس تقدير الشخصية بفروعه الخمسة قياس تلك السمات النفسية العامة . واتضح أن علاقات الأداء ترتفع وتنخفض على بعض من السمات الشخصية تشير إلى الاتجاهات المختلفة المهيئة لاتجاه السلوك نحو الهروب بالتعاطى أو الجنوح إلى العنف .

وتمثلا لهذه النتائج فى إطار هدف له شرعيته ، ألا وهو تبيان ما تعكسه هذه النتائج من معان ودلالات – فإن الأمر يستوجب التوقف أمامها ، بغية استشفاف ما يمكن أن يلقى مزيداً من الضوء على ظاهرة تعاطى المخدرات وما قد يرتبط بها من ارتكاب جرائم عنف. وفى البداية نشير إلى ثبات المقياس وصدقه .

ويوضح الجدول رقم (٢) اختبار دلالة الفروق بين عينة الدراسة (ن = ٧٦) وعينة دراسة التقنين ، والتى يمكن اعتبارها عينة سوية (أو كمعيار للمقياس) (ن = ٨٤) والذى يشير إلى عدم وجود فروق جوهرية بين هاتين العينتين فى المقياس الكلى لتقدير الشخصية.

جدول (٢)

دلالة الفروق بين عينة الدراسة وعينة التقنين

فى مقياس تقدير الشخصية (أ.ت.ش) وفروعه الخمس

المقياس وفروعه الخمس	عينة الدراسة (ن = ٧٦) المتوسط	الانحراف	عينة التقنين (ن = ٨٤) المتوسط	الانحراف	قيمة ت	مستوى الدلالة
العدوان	١٩ر١٢٩	٤ر٧٦١	١٩ر٧٥	٤ر٠٧	٠ر٩٦٧	غير دالة
الاعتمادية	٢٣ر٧٩٣	٤ر١١٥	٢٤ر٣٤	٤ر٧١	٠ر٧٨٣	غير دالة
التقدير السلبى للذات	١٩ر٣٧٩	٤ر٤٥٢	١٦ر٥٢	٥ر٠٣	٤ر٥٦٢	٠ر٠١
عدم التجاوب الانفعالى	٢١ر٩٢٢	٣ر٩١٩	١٨ر٦٠	٤ر٧٦	٢ر١٩٠	٠ر٠٥
عدم الثبات الانفعالى	٢٠ر٧٠٧	٣ر٥٧٨	٢٣ر٦١	٤ر٧٠	٤ر٩٥٩	٠ر٠١

كما أشار الاختبار إلى وجود فروق جوهرية بين العينتين فى فروع المقياس : التقدير السلبى للذات بمستوى دلالة ٠ر٠١ لصالح عينة الدراسة ، وعدم التجاوب الانفعالى عند مستوى ٠ر٠٥ لصالح عينة الدراسة ، وعدم الثبات الانفعالى عند مستوى دلالة ٠ر٠١ لصالح عينة التقنين.

وستحاول الباحثة تفسير فروع المقياس وتحليلها، والوقوف على السمات العامة المميزة لمتعاطى المخدرات من مرتكبى جرائم العنف غير الدالة لعدم وجود فروق جوهرية بين العينتين (عينة الدراسة وعينة التقنين) فى المقياس الكلى لتقدير الشخصية. وكانت السمات النفسية العامة التى لم تتميز بها عينة الدراسة هى :

◇ الميل للعنف أو العدوانية .

◇ الاعتمادية .

كما تحاول الباحثة تحليل فروع المقياس الدالة لوجود فروق جوهرية بين العينتين (عينة الدراسة وعينة التقنين) فى المقياس الكلى لتقدير الشخصية . وكانت السمات النفسية العامة التى تميزت بها عينة الدراسة هى :

◇ التقدير السلبى للذات .

◇ عدم التجاوب الانفعالى .

◇ عدم الثبات الانفعالى .

ويوضح الجدول (٣) وصفًا إحصائيًا لدرجات عينة الدراسة .

جدول (٣)

الوصف الإحصائى لدرجات عينة الدراسة

المقياس وفروعه الخمس	المتوسط	الانحراف المعيارى	الخطأ المعيارى	الالتواء	أعلى درجة	أدنى درجة	أقصى درجة	أقل درجة ممكنة
العـــــــدوان	١٩ر٩٢٩	٤ر٧٦١	٠ر٤٤٠	-١٤٩ر٠	٢٠	١٠	٢٦	٩
الاعـــتـــمـــاديـــة	٢٣ر٧٩٣	٤ر١١٥	٠ر٣٨٢	٠ر٤٣٨	٣٤	١٣	٢٦	٩
التقدير السلبى للذات	١٩ر٣٧٩	٤ر٤٥٢	٠ر٤١٣	-١١٩ر٠	٢٩	١٢	٢٦	٩
عدم التجاوب الانفعالى	٢١ر٩٢٢	٣ر٩١٩	٠ر٣٦٤	-٣٤٢ر٠	٣١	٣١	٢٦	٩
عدم الثبات الانفعالى	٢٠ر٧٠٧	٣ر٥٧٨	٠ر٣٢٢	٠ر٠٣٤	٣٠	١١	٢٦	٩

الميل للعدوانية أو العنف

جاءت المعالجة الإحصائية التى تمت بعد تطبيق المقياس على عينة مجتمع الدراسة لتشير إلى عدم وجود فروق بين العينتين : عينة الدراسة ، وعينة التقنين (السوية أو الضابطة) فى المقياس الكلى لتقدير الشخصية على مقياس الميل للعنف بين أفراد عينة المودعين بالسجون والمتعاطين من مرتكبى جرائم العنف ، يعنى أنه ليس عنفًا عضويًا وراثيًا أو لا إراديًا . فهو عنف مرتبط بمثيرات وضواغط بيئية مستفزة لبعض السمات النفسية المكتسبة العامة (مليكة ، ١٩٨٩ ، ص ٤٧) .

وهو ما أثبتته النتائج على المستوى البيئى (الفيزيقى الاجتماعى) . فقد تبين أن نسبة٦٤٪ من العينة موطنهم الأصلى محافظات الصعيد ، والتى تتأثر بثقافة العنف ، وذلك لبُعد أساليب التنشئة الاجتماعية عن أسلوب الحوار واتباع أساليب الأمر والتهديد بالعقاب ، ويصبح التنفيس للطاقة المكبوتة والتعبير عن الذات فى حالات الغضب والإحباط والتوتر هو السلوك العنيف الذى ينتج نتيجة اللجوء إلى التعاطى وتبين أن ظروف العمل تأخذ الطابع الأرزقى ، فكانت نسبة العمال ٦ر٣١٪ والحرفيين ٩ر٣٢٪ وهى أعلى نسبة بين المبحوثين ، وهو ما يؤكد تدنى المستوى الاقتصادى والشعور بعدم القدرة والعجز نتيجة الحاجات غير المشبعة ، والتى تعبر عن نفسها فى ذلك السلوك العنيف وما يرتبط به من تعاطى المخدرات .

وتشير نسبة عالية إلى عدم القدرة على السيطرة ، والوقوع فى حالات من الهياج عندما لا يجدوا المخدر وتهيئهم لإمكانية ارتكاب جرائم عنف .

فضلاً عن أن ارتفاع نسبة الأمية تصل إلى ٥٢٪ وهذا يعنى عدم القدرة على التقدير السليم ، ويتنافى مع المرونة فيكون الجهل مدخلاً للتعاطى ، ويقترب للعنف المباشر .

كما يتعرض المبحوثون للدراما بين ثقافة التعاطى والعنف ، ويعيشون عمليات التعلم والتقمص والتقليد ويتم التنفيس من خلالها عن الإحباط والكبت ، والتوتر ، ويحتمل أن يتحقق فى مواقف الإثارة فى الواقع .

وعلى الجانب الفيزيقى ، فإن تدنى مستوى الحى والمسكن وارتفاع نسبة الكثافة يمثل مثيرات ضاغطة ذات تأثير سلبى فعال على السلوك .

نخلص من هذه النتيجة إلى أن المجتمع عندما يتصف بناؤه النفسى بالتذمر ، حيث يفقد الأفراد رضاهم عن أوضاعهم ، يصبح السلوك إما بالهروب بالتعاطى أو الوقوع فى جرائم عنف أو الوقوع فى براثن الاثنين كما هو حال مجتمع الدراسة الراهنة مستمداً من عنف الوسط البيئى الضاغط من جراء السياسات الاقتصادية والاجتماعية المتعثرة فى المجتمع .

الاعتماديـــــة

أشارت معدلات الأداء على مقياس الاعتمادية إلى عدم وجود فروق دالة بين العينتين، عينة الدراسة ، وعينة التقنين (السوية والضابطة) فى المقياس الكلى لتقدير الشخصية (انظر جدول ٢).

ويقصد بالاعتمادية الاعتماد النفسى لشخص على شخص أو أشخاص آخرين ليجد التشجيع أو الطمأنينة أو الإرشاد أو القرار ، ويحاول أن ينال محبة الأصدقاء حين يمر بمتاعب ، فدائمًا يحاول الحصول على عون الآخرين حين يمر

بمشكـلات خاصة ، ويجب أن يشعر الآخرون بالأسف حين يتألم ، أو يمـر بأزمة (أبو النيل ، ١٩٩٥) . وعـادة لا ينطوى مفهوم الاعتمادية على الاعتماد الأدائى ، بل على دعم الاعتماد النفسى (زهران ، ١٩٨٨ ، ص ٥٩) .

ونخلص من هذه النتيجة إلى أن غياب سمة الاعتمادية بين أفراد العينة ، وما ينطوى عليها من الحب والطمأنينة والتشجيع والإرشاد والتعاون وقت المشكلات والأزمات ، يعنى ضعف التفاعل الاجتماعى والدعم النفسى داخل إطار الأسرة . من هنا فإن الارتباط بالأصدقاء يُعد مسألة تعويضية لتحقيق الدعم النفسى ، حيث يجمع بينهم التشجيع ، والتعاون والعطف والحب والإرشاد وهو ما يشبع احتياجهم لتفاعل اجتماعى آمن . وعليه فهم يجتمعون على وحدة الألم؛ حيث يعانون ظروف الحرمان المادى والمعنوى داخل الأسرة التى تفشل فى أدائها الوظيفى نحو الرعاية النفسية السليمة.

وتبدأ المشكلة حيث التعرض لرفاق السوء الذين يعانون نفس ظروف الحرمان المادى والمعنوى التى تُعد ضواغط بيئية سيئة .

ويقع الشباب فى هذه الحالة تحت تأثير قوى لجماعات رفاق السوء ، فقد احتلت مكانة الأسرة ، يستمدون قيمهم من تلك الثقافة الخاصة بهم التى تحلل غير المشروع من ناحية ، كما تحلل التعاطى والسلوك العنيف لتحقق إشباعاتها من ناحية أخرى ، فهم يرون أنفسهم ضحايا العنف البيئى .

التقدير السلبى للذات

جاءت مؤشرات الأداء على مقياس التقدير السلبى للذات لتدل على وجود فروق جوهرية دالة بين عينة الدراسة وعينة التقنين أو العينة الضابطة فى المقياس الكلى لتقدير الشخصية (انظر الجدول ٢) .

ويتعلق هذا المقياس بما للفرد من مشاعر واتجاهات وإدراكات متعلقة بذاته امتداداً على متصل طرفه الإيجابى المشاعر والاتجاهات والمدركات الإيجابية تجاه الذات، وطرفه السلبى المشاعر ، والاتجاهات ، والإدراكات السببية نحوها.

ويقصد بتقدير الذات ، تقويم الفرد العام لذاته ، أى مفهومه عن ذاته فيما يتعلق بأهميتها وقيمتها . ويشير التقدير الإيجابى للذات إلى مدى قبول الفرد لذاته وإعجابه بها ، وإدراكه لنفسه على أنه شخص ذو قيمة جدير باحترام الآخرين وتقديرهم (فايد ، ١٩٩٦ ، ص ١٩) .

أما التقدير السلبى للذات ، فيشير إلى عدم قبول المرء لنفسه وخيبة أمله فيها ، وتقليله من شأنها وشعوره بالنقص عند مقارنته بالآخرين . وغالبًا ما يرى الفرد نفسه فى هذه الحالة على أنه ليست له قيمة أو أهمية ، وهو ما يتسم به أفراد عينة الدراسة.

فقد أثبتت النتائج – على المستوى الاجتماعى الفيزيقى – أن المرحلة العمرية السائدة بين أفراد العينة تقع ما بين ١٨ – ٢٥ سنة وبنسبة ٩ر٣٢٪ ، ونسبة الأميين منهم ٦ر٥٢٪ والتعليم دون المتوسط ٦ر٢٧٪ ، والنسبة الغالبة منهم عزاب وبنسبة ٧ر ٤٨٪ ، وغالبًا يعملون حرفيين بنسبة ٩ر٣٢٪ وعمالاً بنسبة ٦ر٣١٪ (انظر الجداول ١ ، ٢ ، ٣ ،٤ ، ٥) .

أما على المستوى الفيزيقى نجد نسبة ٣٠٪ من المساكن مبنى من الطوب اللبن ، ٥١ ٪ بالمسلح ، وتصل المياه للمسكن بنسبة ٢ر٣٨٪ ، ويوجد صرف صحى بنسبة ٣ر٣٠٪ ، وعندما ينخفض مستوى الخدمات الخاصة بالمسكن تعد مناطق لا تتمتع بالحد الأدنى للرعاية الصحية ، وتكون بمثابة ضاغط بيئى .

فضلاً عن المؤشرات على مستوى الكثافة داخل السكن تدل على الازدحام . وهو ما يُعد أحد المؤثرات التى تؤثر على السلوك بدرجات متفاوتة ، وتتوقف على متغيرات أخرى . كما يترتب على الازدحام طبيعة التفاعل الاجتماعى والعلاقات الأسرية ، وهو ما يترتب عليه اختلاط غير سوى ، والشعور بضيق الحيز الشخصى ، والإحباط ، والإحساس بفقدان القدرة على السيطرة على الحيز المكانى .

ومن هنا يأتى الشعور بالدونية والنقص والتقدير السلبى للذات ، حيث إن هذه المؤشرات الاجتماعية تضع هؤلاء الأفراد فى شريحة اجتماعية متدنية تعمق الشعور بالنقص عند مقارنته بالآخرين ، وهو ما يكون شعوراً داخلياً بالغضب والانسحاب والهروب من الناس والمجتمع ، أو يتم التعبير عنه فى صورة العنف أى فعل ، أو سلوك يقصد به إيقاع الأذى ، أو الضرر بالناس أو ممتلكاتهم – انتقاماً لحالة النقص ، والشعور بأن ليس لهم قيمة أو أهمية – والتى تؤدى إلى الشعور بعدم تحقيق الذات ، حيث الفجوة الهائلة التى تفصل بين رغباتهم وإنجازاتهم .

عدم التجاوب الانفعالى

كشفت مؤشرات الأداء على مقياس عدم التجاوب الانفعالى عن وجود فروق دالة بين عينة الدراسة وعينة التقنين الضابطة (انظر الجدول ٢) .

والتجاوب الانفعالى يشير إلى قدرة الفرد على التعبير بتلقائية ، وحرية عن انفعالاته تجاه الآخرين ، وبصفة خاصة مشاعر الدفء والمحبة تجاههم .

والشخص المتجاوب انفعالياً قليلاً ما يجد صعوبة فى تكوين أصدقاء ، أو علاقات حميمة طويلة المدى مع الآخرين .

أما عدم التجاوب الانفعالى فيشير إلى العلاقات التى تتسم بالاضطراب والتصنع ، وتلك التى تتخذ كدفاع . والشخص غير المتجاوب انفعالياً قد يبدى الود من الناحية الاجتماعية، إلا أنه غالبا ما يكون بارداً فى علاقاته بالآخرين ، والحالات الشديدة قد يبدو مثل هذا الشخص متبلد الأحاسيس بارد العاطفة (زهران ، ١٩٨٨ ، ص ٥٩) .

وعندما يتسم مرتكبو جرائم العنف بعدم التجاوب الانفعالى كما كشفت عنه مؤشرات الأداء على المقياس ، فإن هذا مردوده أن العلاقة الوالدية اتسمت بالفتور ، بل تُعد طاردة خارج الإطار الأسرى بحثًا عن شخص متجاوب انفعاليًا يتمثل فى صديق لتحقيق الإشباع لمشاعر المودة والحميمية على المدى الطويل ، حيث يفتقدون التفاعل العاطفى الأسرى .

وفى هذه الحالة يصبح للصديق دور فعال ومحورى فى سلوك الآخر . والمتوقع أن أفراد عينة الدراسة وقعوا بين أيدى أصدقاء السوء ، وإذا أضفنا إلى هذه المقدمات التعرض لتعاطى المخدرات ، وهو ما يزيد من احتمالية تعميق سمة التبلد ، هنا يصبح الفرد مهيئا لانتهاك السلوك العنيف وارتكاب أبشع جرائم العنف ، تحقيقًا لإشباعاته المادية والمعنوية ، وهو ما أشارت إليه النتائج ، حيث تبين أن ٤١٪ رتكبوا جرائم قتل ، وهى نسبة مرتفعة ، والأخطر هو أساليب القتل البشعة عن مثيلتها من قبل .

وأرى أن تعانق جميع هذه المقدمات المتشابكة والمركبة يأتى بمثل هذه النتيجة الحتمية، ويفسر انتشار العنف ، وظهوره فى أبشع صورة .

الثبات الانفعالى

دلت مؤشرات الأداء على مقياس الثبات الانفعالى على وجود فروق جوهرية دالة بين عينة الدراسة وعينة التقنين .

ويقصد بالثبات الانفعالى مدى استقرار الحالة المزاجية للشخص ، ومدى قدرته على مواجهة الفشل والنكسات والمشكلات ومصادر التوتر الأخرى بأقل قدر من الانزعاج والإحباط . والشخص الثابت انفعاليًا هو من يستطيع الاحتفاظ بضبط النفس فى مواجهة التوتر الانفعالى البسيط ، كذلك فهو لا يغضب أو يستثار بسهولة وتتصف حالته المزاجية بالثبات الانفعالى والاستقرار إلى حد كبير .

أما الشخص غير الثابت انفعاليا فهو من يعترى حالته المزاجية تأرجح لا يمكن التنبؤ به أو تحديده ، وينتقل بسرعة من مشاعر البهجة إلى الحزن، كما يتحول فجأة من الشعور بالود إلى الشعور بالعداء ، ومثل هذا الشخص ينزعج ويضطرب لأدنى مشكلة أو صعوبة ، كما يفقد تمالكه وضبطه لنفسه عند أقل توتر ، وغالبًا ما يكون سهل الاستثارة (فايد ، ١٩٩٦، ص ٣٧) .

ومما لا شك فيه إنه عندما يتسم أفراد العينة بعدم الثبات الانفعالى ، كما كشفت عنه مؤشرات الأداء على المقياس ، فى حالة تعرضهم لمثيرات بيئية ضاغطة ، يصبح مناخًا مليئا بالتوتر الانفعالى ، ويؤثر على حالتهم النفسية وسلوكهم .

فالمثيرات البيئية تلعب دوراً مهمًا فى توجيه السلوك وبالتحديد فإن التفاعل المتبادل بين سمات عدم الثبات الانفعالى والمثيرات البيئية الضاغطة يزيد من احتمالية اللجوء للتعاطى لإزاحة التوتر وإمكانية ارتكاب جرائم عنف .

وقد كشفت النتائج – على المستوى الفيزيقى – أنه توجد علاقة طردية بين البيئة الفيزيقية الضاغطة المتدنية والإجهاد والإحباط الذى يهيئ للرغبة فى الانسحاب بالتعاطى ويدفع لارتكاب جرائم السلوك العنيف لأفراد عديمى الثبات الانفعالى ، فالمسكن غير ملائم فيزيقيًّا ، وأيضًا كوسط اجتماعى – كما دلت النسبة الإحصائية المتعلقة بالكثافة السكانية المرتفعة على المستوى الضيق بالمسكن ، على أن الازدحام يخرق الخصوصية ، مما يؤثر على الأفراد عديمى الثبات الانفعالى ، ويصبح التعاطى والجريمة سلوكًا متجهًا نحو المثيرات الفيزيقية الضاغطة .

أما على المستوى الاجتماعى ، فقد تعرضت عينة الدراسة لمستوى متدن من نوعية الحياة مما يؤدى إلى إحباطات ومشاعر الحرمان والعجز فى تحقيق احتياجاتهم ورغباتهم ، وتُعد هذه حالة من التوتر يترتب عليها فعل انحرافى للتنفيس عنه ، يكون الفرد أكثر استثارة لطلب المخدرات والسلوك العنيف عندما يتعرض لمثيرات بيئية ضاغطة .

واستكمالا للمسار الذى تحددت بداياته بالوقوف على السمات العامة للمتعاطين من مرتكبى جرائم العنف ، فإن الأمر يستوجب التحقق من السؤال الثانى للدراسة ، والذى يبحث عما إذا كانت هناك سمات نفسية مرضية لمرتكبى جرائم السلوك العنيف ؟ وذلك بهدف استشفاف ما يمكن أن يلقى مزيداً من الضوء لتكتمل الرؤية .

وقد جاءت مؤشرات الأداء على مقياس كورنيل – المقاييس الفرعية الستة – جميعها مرتفعة ، وتدل على اضطراب انفعالى شديد . (انظر الجدول ٤) . وهذه الاضطرابات الانفعالية مكتسبة من خلال التفاعل الاجتماعى أكثر من كونها وراثية .

والمضطرب انفعاليًا عندما يقع فى صراع مع المجتمع تكون (الأنا) ضعيفة ، وتعجز عن ضبط الرغبات ، وتقع احتمالية الانحراف والاعتماد على المخدرات وارتكاب السلوك العنيف ، وهو ما أكدته مؤشرات الأداء على المقاييس الفرعية لمقياس كورنيل للجوانب الانفعالية :

جدول (٤)

مستوى عينة الدراسة مقارنة بالقيم المعيارية للاضطراب العصابى

المستويات	المستوى المعيارى للاضطراب العصابى					
	منخفض	متوسط	مرتفع		المتوسط	المستوى
عدم الكفاية	– ٥٦ر١	١٦ر٢	٧٦ر١٢	فأكثر	٩٢ره	مرتفع
الاكتئاب	– ٧٨ ر٠	٠٨ر١	٣٨ر١	فأكثر	٧٠ر٢	مرتفع
القلق	– ١٧ر١	٦٢ر١	٠٧ر٢	فأكثر	٦٣ر٢	مرتفع
الحساسية	– ٧٨ر٠	٠٨ر١	٣٨ر١	فأكثر	٧٠ر٢	مرتفع
الغضب	– ١٧ر٠	٦٢ر١	٠٧ر٢	فأكثر	٢٦ر٣	مرتفع
التوتر	– ١٧ر١	٦٢ر١	٠٧ر٢	فأكثر	٤١ر٤	مرتفع

- إن ارتفاع مؤشرات الأداء على مقياس عدم الكفاية الشخصية عن القيم المعيارية للاضطراب يعنى أن أفراد عينة الدراسة اتسمت بنقص الثقة بالنفس، ويغلب عليهم الشعور بالعجز والضآلة والقلة وعدم القدرة .

ونرى أن هذه السمة المرضية يمكن أن تتحكم فى السلوك فى اتجاهين : الأول فى محاولة التفوق على الشعور بالعجز ، وعدم القدرة ، ومقاومة الضآلة، ونقص الثقة بالنفس فى الاعتماد على المخدرات وانتهاك سلوك إجرامى عنيف يتمثل فى : جرائم الاغتصاب ، والسرقة بالإكراه لإثبات ذاته ، وتحقيق إشباعاته فى محاولة للخروج من مشاعر العجز ، وعدم القدرة والضآلة ، كما هو الحال فى عينة الدراسة .

ويبدو الاتجاه الثانى لسمة عدم الكفاية فى حالة الانحراف فى مشاعر القلة والعجز والضآلة حين تصادف مثيرات لوسط اجتماعى فيزيقى ضاغط ومحفز يعمق من تلك المشاعر ، أو هذه السمة المرضية وتجعله أكثر حاجة للمخدرات وعنفًا وتهيؤا

لجرائم القتل والضرب المفضى للموت فى لحظة ينفس فيها عن طاقة هائلة لكل هـذه المشاعـر لا إراديًا .

- وقد أشارت النتائج إلى ارتفاع نسبة الاضطراب عن القيم المعيارية على مقياس الاكتئاب ، وهو حالة مرضية تتسم بالقنوط واليـأس وانقطـاع الأمـل . أى أن أفراد عينة الدراسة يعانون حالة نفسية انفعالية يعمها انخفاض فى الروح المعنوية وتصاحبها اتجاهات انفعالية سلبية تؤثر فى السلوك . فمن ناحية أفراد عينة الدراسة يعانون الاكتئاب بوصفه أحد الاضطرابات الوجدانية ، حيث يقعون فريسة للشعور بعدم الراحة والتوتر وضلالات لوم الذات ، ومن ناحية أخرى يعانون مثيرات ضاغطة فى المحيط البيئى مثل الفقر والحرمان ونقص الإشباعات .

ونخلص فى هذه النتيجة إلى أن جرائم السلوك العنيف وليدة ذروة التفاعل بين حالة الاكتئاب والظروف البيئية الضاغطة الدافعة والمحفزة للسلوك العنيف وصولا لتحقيق الحاجات والإشباعات .

- دلت مؤشرات الأداء على مقياس القلق على أن أفراد عينة الدراسة من متعاطى المخدرات ومرتكبى جرائم السلوك العنيف مصابون بحالة القلق ، ويمثل هذا نوعًا من الضغوط الانفعالية التى تؤثر سلبًا على السلوك .

ويظهر القلق من الخوف من عدم القدرة على الوفاء بمتطلبات الحياة ، ومواجهة الاحتياجات وخاصة المُلِح منها .

وقد أثبتت المؤشرات على مستوى النتائج الاجتماعية ، أن نسبة ٥٢ر٦٪ من أفراد العينة أميون وأعلى نسبة يعملون حرفيين وتمثل ٣٢ر٩٪ مما يدل على عدم الاستقرار المادى ، فهم ليسوا أصحاب مؤهلات تضمن لهم عملاً مستقرًا ، أو يعملون بمهن لها دخل ثابت . فضلاً عن أن نسبة ٤٨ر٧٪ عزاب ، ويليها نسبة ٤٠ر٨٪ متزوج ويعول ، أى ما بين شاب يريد الزواج ويُكّون أسرة مما يزيد احتمالية وقوعه فى جرائم السرقة

بالإكراه والاغتصاب ، وآخر تزوج ويعول ومسئول عن احتياجات أسرة ومهيئا لجرائم القتل ، والسرقة بالإكراه ، والضرب المفضى للموت ؛ وصولا للمال اعتقاداً بأن فى هذا حماية لأسرته وقد يقتل زوجته وأولاده خوفًا من المستقبل المظلم ، ونرى أن الإفراط فى القلق يمكن أن يأتى بنتيجة عكسية؛ حيث يصبح السلوك متقلبًا متوترًا يمكن أن يقابل عنف المثيرات البيئية بسلوك أعنف .

- وأشارت النتائج إلى ارتفاع نسبة الاضطراب عن القيم المعيارية على مقياس الحساسية وهى حالة مفرطة من الإحساس بمشاعر عالية أكثر مما تستحق لذات الموقف ، ويمكن أن تكون مرجعية هذه الحساسية الشعور بعدم الكفاية والدونية ، فهى حالة نفسية انفعالية إفرازًا للتفاعل الاجتماعى ذات خبرات سيئة وليست سمة موروثة.

وترى أن التدنى فى الخصائص الفيزيقية والوسط الاجتماعى لعينة الدراسة يعمق من هذه السمة المرضية ، بل يجعلها ذات تأثير سلبى على السلوك . فالحساسية تجسد وتعمق من دور الضواغط البيئية فترتفع فاعلية المثيرات أكثر على توجهات السلوك .

وهذا النمط من الشخصية أو هذه السمة المرضية تدفع بصاحبها دفعًا إلى الإدمان، حيث إن المخدر يخفف من وطأة ذلك التوتر الذى يصاحب هذه الحساسية المفرطة، وعندما تتعانق هذه الدوافع يصبح المناخ مهيئا عند أدنى استفزاز خارجى لارتكاب جرائم العنف .

- أشارت النتائج إلى ارتفاع نسبة الاضطراب عن القيم المعيارية على مقياس الغضب، وسمة الغضب تُعد مرضية عندما ترتفع الحالة الانفعالية لأدنى شعور بعدم الرضا ، وتمثل حالات الغضب اضطراباً يوجه السلوك نحو العداء والعدوان ومحاولة الهروب من تلك الانفعالات بالمخدرات .

وتتعرض عينة الدراسة لمستوى متدن من المسكن ، واختراق الحيز الشخصى بارتفاع نسبة الازدحام ومعاناة الفقر ، والعجز عن تحقيق إشباعاته فى العمل الجيد والزواج ، والقدرة على الإنفاق ، وفى الوقت ذاته يتعرض لمواد إعلامية مستفزة ، تكشف عن نوعيات حياة أفضل ، وتعرض لإعلانات استهلاكية مثيرة للغضب وإحساس بالعجز ، كل هذه المثيرات البيئية لمثل هذه الفئة المهيئة للغضب يمكن أن تجعل منه مجرمًا عنيفًا عندما تتوافر فى أشد صورها كمًا وكيفًا ، وفى هذه الحالة يعتمد على المخدر لإزاحة الغضب .

- دلت المؤشرات على مقياس التوتر إلى ارتفاع نسبة الاضطراب لسمة التوتر بين أفراد العينة، وهى حالة تنتج من وجود بعض الحاجات غير المشبعة أو وجود دافع أو ما شاكل هذا. وعملية إشباع هذه الحاجات من شأنها أن تهون التوتر، وألا يصبح ملحًا ومتراكما عندما لا يمكن تسكينه بإشباع الحاجة، وهنا قد يلجأ الفرد للتحذير لتهدئة التوتر، كذلك فإن معاناة عينة الدراسة من الظروف البيئية الضاغطة، والشعور بالإحباط وخيبة الأمل فى تحقيق إشباعاتهم ، واحتياجاتهم المادية والمعنوية، من شأنه أن يؤدى إلى تراكم التوتر الذى يعبر عن نفسه عند تراكمه فى شكل سلوك إجرامى عنيف، ويُعد ذلك بمثابة عملية تنفيس عن التوتر الكامل داخل نفوس الأفراد، وهو ما يسمى فى تراث علم النفس بعملية إزاحة التوترات بالاعتـــداء على شخص ، أو أشخاص ، أو ممتلكات .

ونخلص من هذه النتيجة إلى أن الإحباطات المتكررة للحاجات المهمة من شأنها أن تؤدى إلى تراكم التوترات التى تصبح القوة الدافعة للسلوك المنحرف متجسداً فى تعاطى المخدرات لتحقيق الشعور بالانفعالات الحادة والانزلاق فى احتمالات ارتكابه جرائم العنف .

على مستوى نتائج المتغيرات البيئية (الفيزيقية والاجتماعية)

نعرض لمؤشرات ودلالات تكشف عن الوسط الفيزيقى الاجتماعى وعلاقته بالسمات العامة أو المرضية فى تفاعلها ، ومدى دفعهم للوقوع فى براثن جرائم العنف وتعاطى المخدرات، أى نطرح المناقشة للإجابة على التساؤل الثالث للدراسة : هل من متغيرات فيزيقية أو اجتماعية مهيئة ومحفزة ، تتفاعل مع سمات عامة أو مرضية دافعة للتعاطى وارتكاب جرائم السلوك العنيف ؟

ويطرح التساؤل احتمالية لفاعلية دور الخصائص الفيزيقية التى يمكن أن تكون أحد المتغيرات المهمة وراء تنامى ظاهرة تعاطى المخدرات وجرائم العنف .

ونظراً لاتساع الخصائص الفيزيقية وتعدد جوانبها ، فقد حددت الباحثة حالة الحى من حيث مستوى الخدمات ، وحالة المسكن من حيث نسبة الكثافة وتوافر الشروط الصحية ومواصفات المواد المشيد منها ، ومدى جاذبية المسكن للإقامة .

وسنعرض لاستجابات المبحوثين من عينة الدراسة حول هذه الأبعاد الفيزيقية للتعرف على دورها فى توجه السلوك نحو العنف .

جدول (٥)

استجابات أفراد العينة فيما يتعلق بحالة الحى

الحالة *	ك	٪
كهرباء	٧٤	٩٧ر٤
مياه جارية	٦٩	٩٠ر٨
شوارع مرصوفة	٤٠	٥٢ر٦
صرف صحى	٢٣	٣٠ر٣
عدد المستجيبين	٧٦	–

* توجد إمكانية اختيار أكثر من بديل .

يتضح من الجدول (٥) أن وجود كهرباء بالحى يمثل نسبة ٩٧ر٤٪ وهو مؤشر جيد لتحسين نوعية الحياة إذا أتيحت الفرصة لاستخدام أحدث التقنيات التكنولوچية .

◇ ويشير الجدول إلى وجود مياه نقية بنسبة ٨ر٩٠٪ وهى أحد أهم الشروط الصحية اللازمة لتحسين مستوى المعيشة .

◇ ويتضح من الجدول أن وجود شوارع مرصوفة بالحى تصل نسبتها إلى ٦ر٥٢٪ وهذا يعنى أن نسبة عالية غير صالحة للسكنى بالحى .

◇ وتبين من استجابات المبحوثين أن النسبة المئوية لوجود صرف صحى تمثل ٣ر٣٠٪ وهو ما يتنافى مع الشروط الصحية للمعيشة .

وعليه يشير الجدول إلى تناقص فى أسس التخطيط العمرانى ، فبرغم وجود نسبة عالية من الكهرباء والمياة النقية ، فإنه لا يوجد رصف كامل أو صرف صحى إلا بنسبة ضعيفة ، وهذا التناقص ينتهى بحالة من الاستفزاز تحيط بأفراد العينة ، توسع من هوة الفجوة بين واقعهم وتطلعاتهم لحياة مريحة تشبه ما يطالعونه يوميًا على شاشة التليفزيون أو يقترب من الحد الأدنى .

وهو ما يوصف بالخلل فى مظاهر البيئة الفيزيقية المشيدة على مستوى الحى ، وينعكس على الحياة والتفكير واتجاهات السلوك .

جدول (٦)

استجابات أفراد العينة فيما يتعلق بحالة المسكن

حالة المسكن *	ك	٪
بالطوب اللبن	٢٣	٣ر٣٠
بالطوب الأحمر والخشب	١٨	٧ر٢٣
بالمسلح	٣٩	٣ر٥١
تصله المياه	٢٩	٢ر٣٨
صرف صحى	٢٣	٣ر٣٠
عدد المستجيبين	٧٦	–

* توجد إمكانية اختيار أكثر من بديل .

يكشف الجدول (٦) عن أن حالة المسكن من حيث مواصفات المواد المشيد منها ، كانت نسبة البناء بالمسلح ٣ر٥١ ٪ ويليها البناء بالطوب اللبن بنسبة ٣٠٪ ويأتى البناء بالطوب الأحمر والخشب بنسبة ٧ر٢٣٪ .

تشير النتائج إلى أن نسبة المساكن بالطوب اللبن مضافا إليها المساكن بالطوب الأحمر والخشب تمثل نسبة عالية وهى مساكن تُعد غير لائقة للسكنى بدنيًا ونفسيًّا، بحيث يقع هؤلاء الأفراد فى نفس دائرة التناقض بين واقع سكنهم وإدراكهم لنوعية السكن الأعلى، مما يعمق الشعور بالحرمان والدونية ويثير الاستفزاز عندما يصادفون متغيرات أخرى ضاغطة .

ويتضح – أيضًا – من الجدول انخفاض النسبة المئوية لمستوى الخدمات بالحى، حيث تنخفض نسبة المياه النقية التى تصل إلى المسكن إلى ٢ر ٣٨٪ وتظل نسبة الصرف الصحى ضعيفة بنسبة ٣ر ٣٠٪ ، مما يؤثر بالتأكيد على الرعاية الصحية والنفسية المطلوبة ، ويدل على سوء التخطيط الفيزيقى وانعكاساته النفسية التى تجعل من المسكن مركز طرد أو مثيرًا ضاغطًا يهيئ لاتجاه السلوك نحو الانحراف بالتعاطى والجريمة .

جاءت نسبة الازدحام ٣ر٦٦٪ ، والحالة الصحية للمسكن ١ر٤٢٪ ، والمسكن المهمل ٤ر٢٢٪ ، وهى مثيرات فيزيقية ضاغطة ذات تأثير سلبى فعال على السلوك (انظر الجدول ٧) .

جدول (٧)

الكثافة السكانية والظروف الصحية للمسكن

الاستجابة *	ك	٪
المسكن مزدحم (أكثر من ٣ أفراد فى الحجرة)	٤٢	٣ر٥٥
الظروف الصحية للمسكن ملائمة	٣٢	١ر٤٢
الظروف الصحية للمسكن غير ملائمة	١٧	٤ر٢٢
عدد المستجيبين	٧٦	–

* توجد إمكانية اختيار أكثر من بديل .

والزحام يعتبر أحد المؤثرات التى تؤثر على السلوك بدرجات متفاوتة وتتوقف على متغيرات أخرى ، ومدى ملاءمة المسكن من حيث الكثافة يترتب عليها طبيعة التفاعل الاجتماعى والعلاقات الأسرية ، وفى حالة عدم ملاءمته للإقامة ينعكس هذا على السلوكيات ، حيث الاختلاط غير السوى ، والشعور بضيق الحيز الشخصى ، والإحساس بالإحباط ، والإحساس بفقدان القدرة على السيطرة على الحيز المكانى .

وللتعرف على الوسط الاجتماعى بمتغيراته المميزة لأفراد عينة الدراسة ، فقد استطلعت الباحثة رأى المبحوثين من أفراد عينة الدراسة حول هذا الموضوع ، بطرح عدد من الأسئلة نوضحها على النحو التالى :

جدول (٨)

توزيع أفراد العينة من حيث فئات السن

فئات السن	ك	٪
أقل من ٢٥سنة	٢٥	٣٢ر٩
٢٥ –	٢٠	٢٦ر٣
٣٠ –	١١	١٤ر٥
٣٥ –	١١	١٤ر٥
٤٠ فأكثر	٩	١١ر٨
الإجمالى	٧٦	١٠٠ر٠

جاءت الفئات العمرية للمبحوثين من مرتكبى جرائم العنف كالآتى (انظر جدول رقم ٨) :

- أقل من ٢٥ سنة بواقع ٢٥ مفردة ، وبنسبة ٣٢ر٩٪ .
- (٢٥ – ٢٩) بواقع ٢٠ مفردة ، وبنسبة ٢٦ر٣٪ .
- (٣٠ – ٣٤) بواقع ١١ مفردة ، وبنسبة ١٤ر٥٪ .
- (٣٥ – ٣٩) بواقع ١١ مفردة ، وبنسبة ١٤ر٥٪ .
- (٤٠ سنة فأكثر) بواقع ٩ مفردات ، وبنسبة ١١ر٨٪ .

جاءت نسبة الفئات العمرية فى الشريحة التى فى مقتبل الشباب بنسبة عالية وهى الأقل من ٢٥ سنة والتى تصل إلى أقل من ٣٠ سنة ، وهذه المرحلة تُعد ذروة التفاعل الاجتماعى والمؤهلين للانضمام إلى قوة العمل ، لكى يحتلوا مكانة اجتماعية ويؤدوا دوراً فعالاً. وهنا يصطدم الشباب بمشكلات الإدمان وأصدقاء السوء ، والبطالة ، وسرعة التحولات الاجتماعية التى يواكبها تحولات نفسية داخلية فى هذه المرحلة واحتمالية التأثر بمتغيرات أخرى يمكن أن توجه السلوك مجتمعة نحو الاضطراب والتهيؤ للانحراف ، بل للعنف والجريمة .

كشفت الدراسة عن أن أعلى نسبة لأفراد العينة الذين يأتى موطنهم الأصلى من الصعيد شمالاً ١٨ر٤٪ وجنوبًا ، ١ر ٤٦٪ (انظر جدول ٩) . ومما لا شك فيه أن تعاطى المخدرات عندما تصادفه ثقافة العنف للموطن الأصلى خاصة ثقافة الثأر تؤثر فى أسلوب التنشئة الاجتماعية حيث تبعد عن أسلوب الحوار واتباع أساليب الأمر ، وعدم الخروج على التقاليد الجامدة والتهديد بالعقاب ، بحيث تصبح الطاقات كامنة محاصرة مختزلة ، إلى أن يتعرض الفرد منهم لمثيرات ضاغطة ، ويصبح المتنفس الوحيد لتلك الطاقات والمخرج الطبيعى للتعبير عن الذات ، هو السلوك الإجرامى وبعنف.

جدول (٩)

توزيع أفراد العينة طبقا لإقليم الموطن الأصلى

الإقليم	ك	٪
المحافظات الحضرية (القاهرة)	٢٥	٣٢ر٩
الوجه البحرى	٢	٢ر٦
شمال الصعيد	١٤	١٨ر٤
جنوب الصعيد	٣٥	٤٦ر١
الإجمالى	٧٦	١٠٠ر٠

يشير الجدول (١٠) إلى ارتفاع نسبة الأميين بحيث تمثل أعلى نسبة بين أفراد العينة بنسبة ٥٢ر٦٪ ، ويليها أقل من متوسط ٢٧ر٦٪ ، ثم متوسط فأعلى بنسبة ١٩ر٧٪ .

جدول (١٠)

توزيع أفراد العينة طبقا للمستوى التعليمى

المستوى التعليمى	ك	٪
أمى	٤٠	٥٢ر٦
أقل من متوسط	٢١	٢٧ر٦
متوسط فأعلى	١٥	١٩ر٧
الإجمالى	٧٦	١٠٠ر٠

سادت نسبة عالية من الأميين بين أفراد العينة ، مما يشير إلى وجود قدر من الوعى غير المكتمل وعدم القدرة على استيعاب المواقف ، وهو ما يساعد على عدم تقدير الأمور تقديرًا سليمًا ، والاندفاع والوقوع فى سلوكيات عنيفة مباشرة مثل القتل ، والضرب ، والاغتصاب وخاصة فى حالة تعاطى المخدرات تتنافى مع المرونة والوعى التى تحتاج إلى درجة أعلى من التعليم .

جدول (١١)

توزيع أفراد العينة طبقا للحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	ك	٪
أعزب	٣٧	٤٨ر٧
متزوج	٥	٦ر٦
متزوج ويعول	٣١	٤٠ر٨
مطلق	٣	٣ر٩
الإجمالى	٧٦	١٠٠ر٠

يكشف الجدول (١١) عن نسبة مرتفعة لفئة الشباب العزاب ٧ر٤٨٪ ، ويليها متزوج ويعول بنسبة ٨ر٤٠٪ ، وهو مؤشر يعنى أن هاتين الفئتين فى احتياج مادى مُلح.

وفى ظل متغيرات أخرى تعد بمثابة مثيرات ملحة أيضًا وضاغطة يصبح المبحوثون فى حالة توتر لنقص الإشباعات وعدم توافر الاحتياجات الضرورية .

وهكذا فإن النقص المادى والمعنوى لهؤلاء يعرضهم طول الوقت للانحراف بالتعاطى والجريمة وخاصة عندما يضاف للمثيرات الضاغطة حالة نفسية مضطربة .

سادت العينة فئة العمال والحرفيين بحيث مثلت ٦ر ٣١٪ للعمال ، ونسبة ٩ر٣٢٪ للحرفيين (انظر جدول ١٢) .

جدول (١٢)

توزيع أفراد العينة طبقا للمهنة

المهنة	ك	٪
عمال	٢٤	٦ر٣١
حرفيون	٢٥	٩ر٣٢
مهنيون	٩	٨ر١١
عمال زراعة	١١	٥ر١٤
أخرى	٧	٢ر٩
الإجمالى	٧٦	٠ر١٠٠

تنتشر فى أوساط العمل الحرفى ثقافة التعاطى ويتسم بآليات خاصة فى السلوك، فتعبير أصحاب المهن الحرفية يختلف عن أصحاب الأعمال الذهنية حيث التعبير بالحوار، إذ يميل أصحاب الأعمال الحرفية إلى الأسلوب السلوكى التعبيرى الأقرب لديها كنظام حركى باليد ، وهو يهيئ فى حالات نفسية مضطربة مع تأثير التخدير ومثيرات ضاغطة لارتكاب جرائم عنف مثل القتل ، والضرب المفضى إلى الموت ، والسرقة بالإكراه ، والاغتصاب .

جدول (١٣)

توزيع عينة المتعاطين طبقاً لنوع المخدر

نوع المخدر	ك	٪
بـــــانجـــــو	٥٢	٦٨ر٠
حـــــشـــــيش	١٤	١٨ر٤
أفـــــيـــــون	٥	٦ر٦
أقـــراص مـــخـــدرة	٥	٦ر٦
الإجـــــمـــــالى	٧٦	١٠٠ر٠

تبين النتائج الواردة بجدول (١٣) مؤشراً خطيراً ، وهـــو سيـــادة نسبة متعاطى البانجو بنسبة مرتفعة جدا لعينة الدراسة تصل إلى ٦٨٪ يليها الحشيش بنسبة ١٨ر٤٪ والأفيون بنسبة ٦ر٦٪ ثم الأقـــراص المخـــدرة بنسبة ٦ر٦٪ .

وارتفاع نسبة الإدمان للمخدر وخاصة البانجو وذلك لرخص ثمنه ، يجعل أقل مثير بيئى فيزيقى أو اجتماعى مستفزاً لسلوك عنيف وإجرامى ، إذا كان المثير قوًا وضاغطًا يجعل المدمن بهذه السمات النفسية المهيئة والوسط الاجتماعى الفيزيقى الدافع للعنف يرتكب أعنف الجرائم . ويمكن أن يكون أفراد أسرته وأقرب الناس له ضحايا لجرائم القتل والسرقة والضرب المفضى للموت وأحيانًا الاغتصاب ، لعدم السيطرة والتحكم فى الذات ، أى العشوائية فى السلوك ، والهياج أحيانا سواء وقع تحت تأثير المخدر ، أو الرغبة الملحة له ولم يجده . وهكذا تفسر المؤشرات والدلالات مثل هذه الجرائم العنيفة التى تتسم بالبشاعة عن مثيلها فى الماضى .

جدول (١٤)

أسباب التعاطى لأول مرة

الأسباب *	ك	٪
الإحساس بالصداع	–	–
الإصابة بالبرد والأنفلونزا	٢	١ر٣٥
الإصابة بالسعال أو الكحة	–	–
الإصابة بالربو	–	–
الإصابة بالإسهال	٢	١ر٣٥
الكسل والوهن	١٠	٦ر٧٦
الأرق	٨	٥ر٤١
الرغبة فى السهر	٨	٥ر٤١
الرغبة فى القراءة	٨	٥ر٤١
القلق والتوتر	١٨	١٢ر١٦
أسباب جنسية	–	–
التجريب	١٤	٩ر٤٦
التقليد	٤	٢ر٧٠
رغبة الإحساس بالمرح (الفرفشة)	١٢	٨ر١١
مسايرة الأصدقاء	٣٠	٢٠ر٢٧
قضاء وقت الفراغ	٦٨	٤٥ر٩٥
تخفيف الحساسية	٢٩	١٩ر٥٩
إنجاز الأعمال الشاقة أو العنيفة	٤٤	٢٩ر٧٣
الشعور بالقوة والنشاط	٣٥	٢٣ر٦٥
الانتقال إلى عالم الحلم والسعادة	٢٤	١٦ر٢٢
عدد المستجيبين	٧٦	–

* توجد إمكانية اختيار أكثر من بديل .

تشير النتائج فى جدول (١٤) إلى شيوع الأسباب المعرفية والبدنية المسببة لتعاطى المخدرات لأول مرة ، وتنتظم هذه الأسباب فى قضاء وقت الفراغ ، ثم اضطراب الذاكرة ، ثم مسايرة الأصدقاء ، فالهروب إلى الخيال لحل المشكلات (ينقلنى إلى عالم الحلم والسعادة) ، ثم الرغبة فى القراءة ؛ كاضطراب فى القدرة على التحصيل المعرفى فى الوقت الذى تزيد فيه الرغبة فى المعرفة .

ثم جاءت الأسباب البدنية فى المرتبة الثانية ، حيث يتعاطى ٢٩ر٧٣٪ من أفراد العينة المخدرات بسبب الإنهاك وعدم القدرة على العمل (يجعلك تنجز الأعمال الشاقة)، ثم الشعور بالقوة والنشاط ، أما الأسباب الانفعالية ، فقد انتظمت فى الشعور بالقرف كعرض اكتئابى ، والشعور بالانقباض ، والرغبة فى المرح والفرفشة .

وعلى هذا النحو ، تكتمل دائرة الأعراض الاكتئابية التى تمثل عاملاً سيكولوچيًّا أساسيًّا فى تعاطى المخدرات ، حيث يمثل انخفاض تقدير الذات ، والشعور بالذنب ، وتوهم المرض ، واضطراب الذاكرة ، ومشاعر الحزن والأسى ، مع اضطراب القدرة البدنية زملة أعراض اكتئابية (انظر جدول١٥) .

جدول (١٥)

أعراض الامتناع عن تعاطى المخدرات

الأعراض *	ك	٪
الشعور بالدوار (الدوخة)	٤	٢ر٧٠
الإحساس بالصداع وارتفاع درجةالحرارة	١٦	١٠ر٨١
الشعور بالكسل والهبوط	٤٠	٢٧ر٠٠
آلام عضلية	١٤	٩ر٤٦
الشعور بالقرف	٢٨	١٨ر٩٢
قلة النوم	٨	٥ر٤٠
كثرة النوم	٣٠	٢٠ر٢٧
عدم القدرة على العمل	٢٦	١٧ر٢٧
الإحساس بالاختناق	١٢	٨ر١١
الإصابة بالإسهال	٢	١ر٣٥
الشعور بالغضب	٦	٤ر٠٠
الإصابة بالرشح والزكام	١	٠ر٦٨
ضعف القوة الجنسية	٦	٤ر٠٠
زيادة الشهية للطعام	٥٨	٣٩ر١٩
الشعور بالأسى والانقباض وسهولة الانزعاج	١٤	٩ر٤٦
الشعور بالتشتت واضطراب التركيز	١٢	٨ر١١
العدوانية والتهور	–	–
أسباب أخرى (التبلد)	٤	٢ر٧٠
عدد المستجيبين	٧٦	–

* توجد إمكانية اختيار أكثر من بديل .

تكشف نتائج الجدول (١٥) شيوع العديد من الأعراض الناتجة عن الامتناع عن التعاطى ؛ وأهم هذه الأعراض زيادة الشهية للطعام ، والشعور بالكسل والهبوط ، وكثرة النوم مع الشعور بالقرف ، وعدم القدرة على العمل مع أعراض الاكتئاب، واضطراب الذاكرة ، وتشتت الانتباه بوصفه رد فعل طبيعى للتوقف عن استعمال المخدر.

وجدير بالذكر أن هذه الأعراض تهيئ لارتكاب الجريمة وبعنف عندما يقع الفرد فى مواقف صعبة لا يستطيع التعامل معها .

وتتمثل ذروة السلوك العنيف فى جريمة القتل التى سادت وتصدرت أعلى نسبة لجرائم العنف بين أفراد عينة المبحوثين ، وهو ما يستحق الانتباه إلى دور تأثير المخدرات لانتشار أبشع جرائم العنف .

جدول (١٦)

توزيع أفراد العينة حسب نوع الجريمة

الجريمة	ك	٪
قتل	٣١	٤١ر٠
سرقة بالإكراه	٢٤	٣٢ر٠
اغتصاب	١٤	١٨ر٠
ضرب أفضى للموت	٧	٩ر٠
الإجمالى	٧٦	١٠٠ر٠

يكشف الجدول (١٦) عن مؤشر خطير وهو سيادة جرائم القتل وارتفاع نسبتها ٤١٪ ويليها السرقة بالإكراه بنسبة ٣٢٪ ، ثم الاغتصاب بنسبة ١٨٪ ، وأخيراً الضرب المفضى للموت بنسبة ٩٪ .

جدول (١٧)

توزيع أفراد العينة حسب ضرورة المال لشراء المخدر كدافع لارتكاب جرائم العنف

الإجابة	ك	٪
نعم	٥٣	٦٩ر٧
لا	٢٣	٣٠ر٩
الإجمالى	٧٦	١٠٠ر٠

يكشف الجدول (١٧) عن نسبة ٧ر٦٩٪ من عينة الدراسة كان دافعهم لارتكاب جريمة عنف هو المال لشراء المخدرات؛ حيث يمثل ضرورة مُلحَّة لمجتمع العينة.

ويعنى ارتفاع نسبة جرائم العنف بدافع النقص للمخدر والحصول على الإشباعات المعنوية ثم الوقوع تحت تأثير اضطرابات شخصية وعمليات نفسية تهيئ لارتكاب أعمال عنف ، لأبسط الأسباب المباشرة .

جدول (١٨)

آراء المبحوثين نحو الدوافع الحقيقية للتعاطى وجرائم العنف

الدوافع *	ك	٪
التعرض لعنف الآخرين	٣٣	٥٨ر٩
تفكك الأسرة	٨	١٤ر٣
الاشتغال بالبلطجة	٩	١٦ر١
البعد عن القيم الدينية	١٤	٢٥ر٠
ضعف الجزاءات القانونية	٦	١٠ر٧
المشكلات الاقتصادية	٨	١٤ر٣
انتشار الفساد	٦	١٠ر٧
عدد المستجيبين	٧٦	-

* توجد إمكانية اختيار أكثر من بديل .

يوضح الجدول (١٨) آراء المبحوثين نحو الدوافع الأساسية للتعاطى وارتكاب جرائم العنف ، ويأتى فى مقدمة آرائهم أن الدافع الحقيقى الأول هو التعرض لعنف الآخر وبنسبة ٥٨ر٩٪ ، ويليه الاعتقاد بأن البُعد عن القيم الدينية أيضًا من أهم الدوافع وبنسبة ٢٥٪ ، ويأتى الاشتغال بالبلطجة بنسبة ١٦ر١٪ ، ثم التفكك الأسرى والمشكلات الاقتصادية بنفس النسبة المئوية ١٤ر٣٪ لكل منهما، وأخيراً الاعتقاد بأن الدوافع هى ضعف الجزاءات القانونية ، وانتشار الفساد بنسبة ١٠ر٧٪ لكل منهما .

إن ارتفاع نسبة الآراء نحو التعرض لعنف الآخر بوصفه دافعًا أساسيًّا وحقيقيًّا لارتكاب جرائم العنف ، يطابق مؤشرات النتائج على المستوى النفسى والاجتماعى الفيزيقى ، حيث تؤكد النتائج تهيؤ أفراد العينة للعنف نتيجة سمات نفسية محفزة ، ومثيرات بيئية مستفزة مشتركة ، إذن فاحتمالية التعرض لعنف الآخر عالية ، فالجميع يتعرضون لنفس الظروف الدافعة لارتكاب جرائم العنف .

ومما لا شك فيه أن البعد عن القيم الدينية – باعتباره منهجًا للتفكير ، وأسلوبًا للمعاملات – من شأنه التخلى عن النسق القيمى ، والاتجاه نحو فقدان المعايير الاجتماعيــة ، وضعف التنشئة الدينية ، يعنى عدم تحريم المخدرات والعنف نتيجة عدم الوعى بمضامين المعاملات بالكتاب والسنة ، أو الفهم الخاطئ للتعاليم ، وروح الدين ، لهذا فالاهتمام بالتربية الدينية بشكل مدروس يسهم فى مواجهة ظاهرة انتشار المخدرات والعنف .

ويرى المبحوثون أن الاشتغال بالبلطجة من أهم دوافع التعاطى والوقوع فى جرائم عنف ، وترتبط الظروف الاقتصادية السيئة بالشعور بالعجز المادى مقترنًا بالإحباط والإحساس بالضآلة والتهميش والاغتراب ، التى تدفع هؤلاء لخلق أدوار ولو أنها غير مشروعة إلا أنها يمكن أن تحقق قسطًا للإشباع المادى والمعنوى .

تشير النتائج إلى نفس درجة الأهمية لبند التفكك الأسرى والمشكلات الاقتصادية. وترى الباحثة أنهما متغيران متداخلان يؤثر كل منهما على الآخر ، حيث إن عجز الأسرة عن إشباعات الأبناء يترتب عليه انحسار التمسك بالقيم الإيجابية، وانكماش السلطة الأبوية لاهتزاز هيبة رب الأسرة نتيجة لضعف قدرته على تحقيق رغبات الأبناء فى ظل الضغوط الاقتصادية الصعبة التى تتعرض لها الأسرة ، وهو ما يكون مناخًا ملائماً للانحراف ودافعًا التعاطى وارتكاب جرائم العنف.

وتأتى آراؤهم بالترتيب نفسه ودرجة الأهمية لبندين فاعلين فى تفسير الظاهرة وهما ضعف تطبيق الجزاءات القانونية وانتشار الفساد . ويتجه الرأى إلى أن هناك

علاقة طردية بينهما . ونرى أن التنظيم الاجتماعى قد يتسم باللامعيارية ويتحرر من المسئولية الاجتماعية ، وتعانى المؤسسات والأفراد أزمة القيم ، يكون ذلك مدخلاً للفساد الاجتماعى الذى لا يمكن أن تحكمه الجزاءات القانونية وحدها . وهذا المناخ يخلق مفهومًا شديد الخطورة ، وهو أخذ الحق بالقوة وتحليل غير المشروع ، فيصبح هؤلاء مهيئين فى وسط اجتماعى فيزيقى محفز للتعاطى وارتكاب جرائم العنف .

والآن وقد اكتمل المسار الذى تحددت بداياته بطرح تساؤلات عن ماهية السمات النفسية العامة والمرضية المهيئة لتعاطى المخدرات لمرتكبى جرائم العنف فى وسط اجتماعى فيزيقى بعينه . فقد اكتملت الرؤية التفسيرية للإجابة عليها لوصف وتفسير ظواهر التعاطى وارتكاب جرائم العنف .

وترى الباحثة أنه يصعب الفصل بين السمات النفسية عن وسطها البيئى ، حيث إنه مما لا شك فيه أن الإنسان وبيئته فى تفاعل مستـــمر ، تختلف مخرجاته فى كل حين .

وبناء عليه فالتعاطى والسلوك العنيف وليد ذروة التفاعل بين الاستعداد الشخصى للتعاطى وللعنف والظروف البيئية الضاغطة ، كما ترى الباحثة أن الاستعداد الشخصى للانحراف يمكن أن يظل كامنًا إذا لم تثيره الظروف البيئية الضاغطة ، ويمكن أن تحفزه للانحراف وصولاً لتحقيق حاجاته وإشباعاته .

فالمثيرات البيئية تلعب دورًا مهمًا فى توجيه السلوك ، ولهذا فإن التفاعل المتبادل بين سمات نفسية معينة ومتغيرات بيئية محددة يزيد من احتمالية الانحراف بالتعاطى أو ارتكاب جرائم عنف ، فكلما توافر الاستعداد النفسى ودعمته المتغيرات المهيئة بالمحيط البيئى ، كلما اقترب الشباب من اللجوء لتعاطى المخدرات والوقوع فى براثن جرائم السلوك العنيف .

المراجـع

أرنست (چونز) . (١٩٨٦) . التحليل النفسى ، ترجمة : محمد فتحى السينيطى ، القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة.

أبو النيل (محمود السيد) . (١٩٩٥) . قائمة كورنيل الجديدة للنواحى العصابية السيكوسوماتية ، تعريبه وإعداده. القاهرة : جامعة عين شمس .

أيزنك . هـ. (١٩٩٦) . مشكلات علم النفس، ترجمة : يوسف محمد الشيخ . القاهرة : دار النهضة ، ص ١٠٩ .

السنبل (عبد العزيز) . (٢٠٠١) . مستقبل التربية فى الوطن العربى ، ط ١ . الإسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث .

العتيق (أحمد) . (٢٠٠١) . دراسة بعض الخصائص النفسية والاجتماعية المرتبطة بالسلوك العنيف نحو البيئة ، معهد الدراسات والبحوث البيئية ، قسم الدراسات الإنسانية ، جامعة عين شمس ، القاهرة .

المجلس القومى لمكافحة وعلاج الإدمان ، صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطى . (٢٠٠٢) . الشباب المصرى وظاهرة المخدرات : دراسة ميدانية لعينة من شباب الأندية ومراكز الشباب بالقاهرة .

البرنامج القومى للوقاية من تعاطى وإدمان المخدرات . (٢٠٠٢) . المجلس القومى لمكافحة وعلاج الإدمان ، وصندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطى ، القاهرة ، ص ١٧ .

چيلفورد ، ج ، ب . (١٩٩٣) . ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ، ترجمة يوسف مراد وآخرين ، المجلد الأول ، ط ٦ . القاهرة : دار المعارف ، ص ٣٠١ .

حجازى (مصطفى). (١٩٩٧) . التخلف الاجتماعى : مدخل إلى سيكولوچيا الإنسان المقهور . القاهرة : معهد الإنماء العرب ، ص ١٧٣ .

عامر (أيمن) . (٢٠٠٤) . الإدمان كسلوك متعلم : نظرية فى الدوافع المكتسبة والعمليات المتضادة ، المجلة القومية للتعاطى والإدمان ، مج ١ ، ع٢ ، ص ٨١ .

عبد الحميد (جابر) . (٢٠٠١) . ، علم النفس البيئى . القاهرة : دار النهضة العربية .

فايد (سوسن) . (١٩٩٦) . الخصائص النفسية والبيئية لمرتكبى جرائم العنف ، رسالة ماچستير، القاهرة ، جامعة عين شمس، ص ١٩ .

كمال (آمال). (٢٠٠٣) . دور وسائل الاتصال فى مواجهة الإدمان ، ورقة مقدمة فى المؤتمر السنوى الرابع : شركاء فى مواجهة التعاطى والإدمان . القاهرة : المجلس القومى لمكافحة وعلاج الإدمان .

مليكة (لويس كامل) . (١٩٨٩) . سيكولوچية الجماعات والقيادة ، الجزء الثانى . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١١٧ – ١٢١ .

Brana, V. (1993). Introduction to Early Childhood Education 3rd ed., New York, MacMillan Publishing Co.Inc, p. 43.

Hall, G. (2007) . Personality Theories, New York: John Wily and Sons Inc.

Kumar, R., O'Malley, P.M., Johnstion, L.D., Schulenberg, J.E., & Bachman J.C., (2002) . Effects of School-level Norms on Students Substance use. Prevention Science, 3 (2), 105-124.

Ltoyed, D., J., (2002). Monitoring the Future Annual Survey of American Secondary School Students, National Institute on Drug Abuse and University of Michigan.

Abstract

Psychological Traits and Environmental Characteristics of Drug Abusers Between Violent Criminals Who Convicted Violent Crimes

Sawsan Faed

This Study aims to answer questions about the psychological traits of addicts who were convicted with committing violent crimes, and the environmental factors involved in the relation between addiction and violent crimes. Data were collected from 80 prisoners convicted for violent crimes, using:

- Personality inventory.
- Cornell inventory “neuroticism scale” .
- Socio - economic level questionnaire .

Our findings reveal the following .

1- As for the ppsychopathological traits, there was a singificant difference between sample and controls in emotional responses, self - esteem and emotional stability. no significant differences were uncovered regarding violence, aggression and independence.

2- As for the psychopathological traits, the group members showed low self- esteem, anger, depression, anxiety,and irritability.

3- As for the environmental influences, the results showed that the group members have experienced highly stressful circumstances. The results showed also that drug abuse combined with committing violent crimes were associated with being victim of violence, lack for religious values, economic problemes, and family disruption.